الشعوبية
وموقف أهل السنة والجماعة منها

د عواد برد العنزي (*)

المقدمة :

الحمد لله الواحد الأحد، الملك الصمد، وصلى الله وسلم على النبي الكريم، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين:

فإن من أصول التفقه في علم العقائد وضبط أطرافه، معرفة الفرق بمختلف أنواعها من الجهة الزمنية والنوعية، وذلك لما أخذه الله تعالى على أهل العلم من عهد أن يبينوا للناس دينهم، ويحذروهم مما هو من شأنه أن يأتي على ذاك الدين بالنقض أو النقد، وتعظم الحاجة إلى البحث في تلك المسائل كلما انتشرت بين الناس، وكثر الجهل، وقل العلم.

أهمية البحث:

الشعوبية من تلك الفرق التي انتشرت وعظم أثرها في القديم والوقت الحاضر، وجاء هذا البحث ليدرسها كفرقة عقائدية من حيث حقيقتها، وبداية ظهورها وأسبابها، ومضمون دعوتها، وفرقها، وموقف أهل السنة والجماعة منها، وتنبع أهمية البحث من جهتين:

الأولى: أنه يتناول ظاهرة كانت سببا في ارتياب بعض الناس في الإسلام كدين من قديم، وهو الأمر الذي انتبه إليه الجاحظ وسطره بقوله: " إن عامة من ارتاب في الإسلام كانت الشعوبية أساس ارتيابهم، فلا تزال الشعوبية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع، حتى ينسلخوا من الإسلام، لأنه نزل على نبي عربي، وكان العرب حملة لوائه عندما نزل"(١).

(*) قسم العقيدة والدعوة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت.

(١) البيان والتبين للجاحظ ٣/٣٥٩ .

وقد كرر ذلك في كتاب الحيوان مؤكدا ومقررا بقوله: "ربما كانت العداوة من جهة العصبية، فإن عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاءه ذلك عن طريق الشعوبية، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف والقدوة"[1].

الثانية: أن تلك الظاهرة لها امتداد وتمدد كبير في عصرنا الحاضر، بحيث يمكن القول بأنها كانت متكئا عظيما لأعداء الإسلام للتسور على حصونه وتخريبها من الداخل، عبر إنشاء المقابلة بين الشعوبية والإسلام، مع استمرار نغمة الطعن في العرب كجنس، وتشويه تاريخهم، والاستخفاف بقيمهم، وإشاعة الإباحية والإلحاد، باعتبارها نوعا من التحرر.

مشكلة البحث:

تتبلور مشكلة البحث من خلال التساؤلات التالية:

ما حقيقة مفهوم الشعوبية؟

وهل يتعارض هذا المفهوم مع مقاصد الإسلام وجوهره؟

وما هي مظاهر وآثار وامتدادات هذه الفرقة؟

وما هو الموقف منها؟

أهداف البحث:

من خلال التساؤلات السابقة يمكن أن نضع أهداف هذا البحث:

فالهدف العام من البحث بيان موقف أهل السنة والجماعة من الشعوبية.

والأهداف الفرعية لتحقيق هذا الهدف تتمثل فيما يلي:

١- معرفة مفهوم الشعوبية من جهة نشأتها وأهدافها ومظاهرها وامتدادتها.

٢- معرفة الوجه الذي تتعارض فيه الشعوبية مع الإسلام كعقيدة عامة، ثم عقيدة أهل السنة والجماعة على وجه الخصوص.

(١) الحيوان للجاحظ ٦٨/٧.

٣- تمحيص وجه التعارض مع الإسلام وعقيدة أهل السنة والجماعة وتدقيقه ثم دحضه والرد عليه.

الدراسات السابقة:

بالبحث والنظر في الدراسات السابقة في هذا الباب لم يجد الباحث دراسات مستقلة في هذا الباب للأقدمين، وإنما وجد ذكرًا للشعوبية في بعض الكتب كباب أو فصل ونحو هذا، ومع كثرت الدراسات في عصرنا وتنوعت اتجاهاتها فلم يصل إلى علم الباحث خبر من تناول الموضوع من وجهة نظر أهل السنة والجماعة، بل غالب من بحث في الشعوبية بحثها بصورة عامة ذاتية غير علمية ، أو بحث عن نوع ما من أنواع الشعوبية، أو تطرق -عرضا- للتحذير منها وبيان أنها لون من ألوان الغزو الفكري للبلاد الإسلامية، والباحث يذكر في عجالة أقرب الكتابات صلة بموضوعه مما تيسر له، وقد سلك التصنيف في الشعوبية طريقين:

الطريق الأول: التصنيف أصالة في دحض باطلهم وبدعتهم، وأقدم من وقفنا عليه صنف في هذا الباب من أهل السنة هو ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) أديب أهل السنة في كتابه " فضل العرب والتنبيه على علومها "، ومسبوق الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب لمرعي يوسف الكرمي ١٠٢٣هـ، وقد تطرقا لفضل العرب ومكانتهم ومحاورة الشعوبية مطولا وبين حسدهم للعرب وعرض الأحاديث التي وردت في فضل العرب بقصد إبطال فكرة المساواة التي يدعو إليها الشعوبية.

- الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليها، تأليف سميرة مُختار الليثي.

طغى على الباحثة روح القومية العربية ونتج عن ذلك أفكار عاطفية تصور التاريخ عبارة عن صراع عربي فارسي، كما أن الباحثة لم تتطرق للأسباب الحقيقية التي أدت إلى ظهور حركة الشعوبيين بل أنها تجاوزت فجعلت كل

الشعوبية حركة زندقة تريد العبث بالتاريخ لصالح الفرس واعتبرت الشعوبية خطرا على الإسلام والعروبة.

-الزندقة والشعوبيّة في العصر العباسي الأوّل، تأليف حسين عطوان.

ركزت هذه الدارسة على الجانب الأدبي حيث ذكرت الشعراء الذين اتهموا بالزندقة والشعوبية وقد أطلق الكاتب أحكامه ابتداء في مقدمة كتابه وانطلق في بحثه لتقريرها.

-الشعوبية والأدب، تأليف خليل جفال.

أعاد الكاتب نشأة الشعوبية إلى العصر الجاهلي وحاول القول بأن الشعوبية كانت ردة فعل نتج عن انتشار الإسلام بالسيف والإكراه وكانت الشعوبية هي الظاهرة المعبرة عن ذلك، ولم تكن هناك قناعة حقيقية بالإسلام من قبل الفرس.

-الجذور التاريخيّة للشعوبيّة، تأليف عبد العزيز الدوري.

حاول الكاتب توضيح جذور الشعوبية المعاصرة من خلال دراسة جذور الشعوبية تاريخيا وقد تطرق للحديث عن نطاق الشعوبية وبداياتها وتطورها وذيولها وموقفها من القيم العربية والإسلامية، واعتبر الشعوبية حركة شاملة تهدف لإضعاف الإسلام والعرب وإحياء التراث القديم للشعوب الأخرى، وأن الشعوبية من الدوافع الأساسية للزندقة وتسعى لإرباك العقائد وتشويه المفاهيم وتقديس العقل وطمس الذات العربية، وأن الشعوبية المعاصرة حين ابتدأت في حاضرها من العراق لأنها تعلم أنه بوابة من خلالها سيتمدد المد الشعوبي من جديد إلى حيث كان قديما!

الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، تأليف د. عبد الله سلوم السامرائي.

وقد تتطرق فيه للحديث عن أسباب نشأتها ومظاهرها وأهدافها والموقف منها..غير أن الكاتب تحدث بنفس قومي عروبي جاعلا الصراع الإيراني

العربي دافعا ومنطلقا للقول بأن الشعوبية ناتجة عن الصراع العربي الفارسي وتهدف الشعوبية لتشويه الإسلام والعرب وحضارتهم.

الطريق الثاني: ذكر الشعوبية والتنكيت عليها وبيان باطلهم في ثنايا كتب التاريخ والأدب كما فعل الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد، وكل من ذكرهم بطرف داحضا لبدعتهم مبينا لتهافتها ومخالفتها للإسلام.

وكتاب ضحى الإسلام لأحمد أمين: تناول في صفحات قليلة موضوع الشعوبية، وقد كان ذكره خاليا من التعصب ورجح مذهب التسوية، وقال إنه مذهب أكثر المتدينين والعلماء من العرب والعجم، وإنه ما يتوافق مع روح الإسلام وقواعده التي تؤيد هذا المذهب.

وفي كتاب الإسلام والحضارة الغربية لمحمد كرد علي، تناول مؤلفه الشعوبية في صفحات قليلة من خلال ذكر آراء المستشرقين ومفكري الغرب حول العرب والإسلام، وقد اعتبر أن كل مَنْ ناهض العرب قديما وحديثا وقلل من شأنهم وتاريخهم وحضارتهم اعتبره شعوبيا.

وفي كتاب تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان اعتمد المؤلف على ما ورد في العقد الفريد لابن عبدربه، وقد اعتبر أن فضل العرب على من سواهم قضية مسلمة في صدر الإسلام ولا تحتاج إلى دليل، وهذا غير صحيح فهذه الظاهرة حدثت في فترة متأخرة ولم تكن في صدر الإسلام.

وقد خلت كل هذه الدراسات والكتابات من بحث الشعوبية من الناحية العقدية لأهل السنة والجماعة، فأراد الباحث أن يدلو بدلوه في هذا الباب بحيث يتضمن زيادة علمية تفيده، وتكون سببا كافيا لتقديم بحث جديد في موضوع قد كثرت فيه التآليف، والباحث ينبه أنه لن يستطع التوسع اتباعا لشروط النشر في المجلات العلمية المحكمة.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي بالترافق مع المنهج التاريخي في رصد نشأة الحركة الشعوبية وتطورها.

خطة البحث: تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول

تعريف الشعوبية ونشأتها وأسباب ظهورها ومظاهرها

المطلب الأول: تعريف الشعوبية لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف الشعوبية لغة:

الشعوبية اسم مؤنَّث منسوب إلى شُعوب، تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحطَّ منهم، الشُّعُوبيّةُ أصحاب هذه النزعة الواحد: شُعُوبِيٌّ.

قال ابن منظور: الشعوبية نسبة إلى الشعوب جمع شعب وتطلق غالباً على العجم[١].

وقال الزبيدي: قال ابن منظور وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتكر أمر العرب شُعُوبي أضافوا إلى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم: أنصاري وهم الشعوبية وهم فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم... قال ابن الأثير: الشعوب ها هنا العجم ووجهه أن الشعب ما تشعب من قبائل العرب أو العجم فخص بأحدهما، ويجوز أن يكون جمع الشعوبي كقولهم: اليهود والمجوس في جمع اليهودي والمجوسي[٢].

وجاء في القاموس والشعوبي بالضم: محتقر أمر العرب وهم الشعوبية[٣].

الفرع الثاني: تعريف الشعوبية اصطلاحاً:

قال أحمد بن حنبل كما في رواية الكرماني: الشعوبية وأراذل الموالي، الذين لا يحبون العرب، ولا يقرون لها بفضل[٤].

---

(١) لسان العرب – مادة شعب.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس– مادة شعب.

(٣) القاموس المحيط مادة شعب، ٨٦٥. ومحيط المحيط وأساس البلاغة: مادة شعب.

(٤) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ٤. طبقات الحنابلة ١/٣٠.

وقال في رواية الإصطخري "والشعوبية وهم أصحاب بدعة وضلالة، وهم يقولون إن العرب والموالي عندنا واحد، لا يرون للعرب حقا، ولا يعرفون لهم فضلا، ولا يحبونهم، بل يبغضون العرب، ويضمرون لهم الغل والحسد والبغضة في قلوبهم، وهذا قول قبيح ابتدعه رجل من أهل العراق، فتبعه يسير، فقضي عليه" [١].

قال البغدادي: "الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب، ويتمنون عودة الملك إلى العجم"[٢].

وقال القرطبي "الشعوبية تبغض العرب وتفضل العجم" [٣].

وقال الزمخشري "هم الذين يصغّرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم" [٤].

وقال الفيروز آبادي: الشعوبي محتقر أمر العرب وهم الشعوبية [٥].

فاتفقت تعاريف هؤلاء العلماء على أمور تتميز بها الفرقة الشعوبية وهي:

١ – أن الشعوبية فرقة أو طائفة من الناس يقوم بنيانهم على تفضيل العجم على العرب.

٢ – أنهم يتمنون عودة ملك العجم (الفرس أو الروم).

٣ – أنهم يبغضون العرب وهذا ظاهر من تعريف القرطبى.

٤ – أنهم يصغرون شأن العرب، والتصغير أعم من مجرد التفضيل، وهذا قول الزمخشري.

ولذلك فقد أجملت الموسوعة البريطانية(anti–arabisim) تلك التعاريف السابقة بقولها "كل اتجاه مناوئ للعروبة".

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٨٥. رسالة البلغاء للقرطاجني ٢٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٢٧/١٥.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ٥٠٩/١ .

(٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٨٨/١ .

ولا شك أن هذا تعريف جيد قوي، ذاك أن المناوئة تستلزم التفضيل والبغض والتصغير، وهو الذي جمع التعاريف السابقة.

المطلب الثاني: نشأة الشعوبية:

منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية كانت تعاليم الإسلام السمحاء هي المنبــع الصافي الذي تستقي منه الأمة تعاليمها، وقد بنى النبي صلى الله عليــه وســلم الدولة الإسلامية على التوحيدين؛ توحيد الله تعــالى "لا إلــه إلا الله"، وتوحيــد الناس، وعدم التفرقة بين المسلمين "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"(١)، "فالإسلام أمر بهدم الفوارق العصبية للقبائل والفوارق الجنسية للشعوب حتى يتحقــق مطلــب الوحدة والاعتصام ويسود الوئام بين أفراد الأمة الإسلامية، فلا فرق بين عربي وأعجمي، إنما هي أمة واحدة يتساوى أفرادها في جميع الحقوق والواجبــات لا تفاضل فيها إلا بالعمل الصالح" (٢) "يا أيها النــاس إنــا خلقنــاكم مــن ذكــر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله علــيم خبير" (٣)، وقال النبي في حجة الوداع: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى"(٤)، وبهذا سد الإسلام البــاب أمــام العــصبية العربية أو أي محاولة لزرع بذور الشعوبية في هذه الحقبة التاريخية، ومن أبرز شواهد التاريخ على ذلك أن العرب عاملوا " الفرس الذين دخلوا في الإسلام عن رغبة واقتناع وحسن إسلامهم واستقاموا على منهج الله وشرعه معاملة حسنة، واعتبروهم إخوة لهم في دين الله" (٥).

غير أنه ووفقا لسنن الكون والاجتماع القاضية بتغير الأحوال وأنماط الطبائع الإنسانية، خرجت طائفة من أبناء المولدين من الفرس وغيرهم من غير العرب،

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحجرات، آية رقم ١٣.
(٢) انعكاس الفكر السياسى على الأدب العربى فى العصر العباسي ١١١.
(٣) القرآن الكريم، سورة الحجرات، آية رقم ١٣.
(٤) مسند أحمد ٢٢٩٧٨.
(٥) العلاقات بين العرب والفرس في العصر العباسي الأول ٢٧-٢٩ .

واستكثروا على العرب أن يكون لهم الغلبة، وكيف أنهم كانوا سببا في ذهــاب إمبراطورياتهم كالفرس أو ضعفها كالروم، فأضمروا البغض للعرب كجــنس، وأصحبت له وجهات نظر يبنون عليها ذاك البغض، وأسباب يرونها وجيهة في تبريره، غير أنهم لم يكن لهم صولة تذكر في بداية الإسلام والدولــة الأمويــة وذلك لقوة الوازع الديني من جهة، ولأن الدولة الأموية تعتبر عربية بامتيــاز، إذا كانت لا تستعين في أمورها إلا بكل عربي صليبة، وفي ذلك إبعــاد لغيــر العرب بطريق تلقائي[١].

ومع بزوغ القرن الثاني[٢] استوت الشعوبية على عودها، وأصبح لها وجــه وكيان، ورؤية وتأصيل، وبلغت أشدها في العصر العباسي، وذلك لأمور:

أولها: أن الدولة العباسية قامت على أكتاف المولدين مــن المــسلمين مــن الفرس من أمثال أبي مسلم الخراساني ونحوه، بحيث أصبح لهم فــضل عنــد الخلفاء العباسيين لا ينكر، حتى إن أكثر خلفاء الدولة العباسية قوة ومنعة وتمكنا وتدينا وهو هارون الرشيد كان مالك الأمر في وقته ووزيره الأول هو جعفــر البرمكي، وهو فارسي[٣].

ثانيها: أنه لا يخفى أن كل طائفة متى تمكنت في الحكم فإنها تُسكِّن أبناءهــا وأولياءها في أقوى المناصب وهو ما حصل، فتبوأ الفرس ومنهم الــشعوبيون أعلى المناصب في الخلافة.

ثالثها: ما تمتع به هؤلاء الفرس من خبرة سالفة في إدارة شئون الحكم وفقا للطريقة الأعجمية، وهو الذي يعجب الملوك ويشبع رغبــتهم فــي الإحــساس بملكهم وقوتهم، وبخاصة مع وجود من يُنَاوِئهم من الهاشميين والأمويين.

---

(١) قيام الدولة العباسية ١٣٢هجرية.

(٢) أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول.

(٣) العرب والفرس ٢٠٦.

رابعها: التذمر والحنق من الفرس على الدولة الأموية لإبعادهم وعدم الاعتراف بخبراتهم الإدارية، مما جعلهم يخلصون للعباسيين في المؤازرة ليس حبا فيهم وإنما نكاية في الأمويين.

وقد أدرك العباسيون تلك الحقيقة فكانت من وصاية أكابرهم الاستعانة بالفرس في تقوية الدولة ومحاربة الدولة الأموية، فقد قال محمد بن علي الملقب بالسفاح في خطابه إلى رئيس الدعاة للدولة العباسية في خراسان: "واستكثروا من الأعاجم فإنهم أهل دعوتنا وبهم يؤيدها الله"[(١)].

ولما تقدم فلم يدخل القرن الثالث الهجري إلا والشعوبية فرقة لها رجالات من الأدباء والشعراء بل وبعض من له معرفة بالشرع الحنيف، وتكلموا في بيان بدعتهم وتأصيلها، ولم يكتفوا في ذلك بتفضيل العجم على العرب، بل قاموا أيضا بتفضيل لغة العجم على لغة العرب، فاضطر غير عالم إلى ذكرها والتحذير منها كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وأبي هلال العسكري وغيرهم.

فقال الجاحظ محذرا منها: " اعلم أنك لم تر قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا، ولا أقل غنما، من أهل هذه النحلة، وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراجل الفائرة، وتسعر تلك النيران المضطرمة، ولو عرفوا أخلاق كل ملة، وزي كل لغة، وعللهم في اختلاف إشارتهم، وآلاتهم وشمائلهم وهَيئاتهم ، وما علة كل شيء من ذلك، ولم اختلقوه؟ ولم تكلفوه؟ لأراحوا أنفسهم ولخفت مؤونتهم على من خالطهم" [(٢)].

---

(١) تاريخ بغداد ٤/٤٧.

(٢) البيان والتبيين ٣/٢٥.

المطلب الثالث: أسباب ظهور الشعوبية.

من مسلمات قوانين الاجتماع والتاريخ، أنه ما من حركة أو دولة تقــوم إلا ولقيامها سبب أو أسباب، وهو الشيء الذي سنحاول التماس معالمه والوقــوف على مبانيه.

أولا: صراع الحضارات:

صراع الحضارات من أبرز الأسباب التي تؤدي إلى هذا النوع من البدع، فقيام حضارة بالقضاء على حضارة أخرى مظنة لخلق الحقد والضغينة من الطرف المهزوم نحو الطرف المنتصر، وهذا ما حصل، ذاك أن المتتبع لظهور الشعوبية يرى أنها متنوعة الأصول والمنابع:

فأول من أظهروها وتولوها هم الفرس؛ وذلك لأن الإسلام قضى على الحضارة الفارسية كحضارة نارية المعتقد إلى أبد الآباد، وهو الأمر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: " فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون أصحاب بحر وصخر كلما ذهب قرن خلف قرن مكانه، هيهات إلى آخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير "(١)، فقد ظهرت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حتى إن كثيرا من الباحثين في تاريخ العلاقة بين العرب والفرس يجعل أول مظاهر الشعوبية العملية للعرب هو قتلهم لعمر رضي الله عنهم على يد أبي لؤلؤة المجوسي، وهو الأمر الذي رجحه الأستاذ على كاشف الغطاء، والأستاذ صباح الموسوي(٢).

وفي الأندلس وهي حضارة نصرانية أوربية بالأساس ظهر ابن الغرسية، وقد وضع رسالة له في الشعوبية(٣) .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، حديث ١٩٣٤٢.

(٢) دور الحركة الشعوبية في صنع الفرق الباطنية صباح الموسوي، ٢٠٠٣، وأدبيات القيادة الإيرانية صباح الموسوي ١٥.

(٣) الشيعة الشعوبية ١٠٩، أصل الفكر الشعوبي موقع مجموعة المدار الإسلامية : https://w.mdar.co/detail٩٩٦٠٥٦.html.

ثانيا: صراع الأديان:

فمن المعروف عند الفرس أنهم كانوا يعبدون الملوك [١]، وكان " أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم، ثم تتابع مدعو النبوة عليهم حتى اشتهر بها زرادشت"[٢]. وكانوا يرون أن الآلهة كانت تحل في الملوك ولذلك يسمى عندهم "شاهنشاه" يعني ملك الملوك بالعربية، وإنما سمي ذلك لأنه ملك بشري قد تجسدت فيه روح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك من الآباء إلى الأبناء[٣] .

وكانوا يرون أن الملك هو ممثل السلطة الزمنية والدينية، وأنه ظل الله في الأرض [٤].

وكانت هناك معتقدات متعددة كالزرادشتية نسبة إلى زرادشت[٥]، والمرقونية نسبة إلى مرقيون[٦]، والديصانية نسبة إلى ابن ديصان[٧]، والمانوية نسبة إلـــى ماني بن فتق بن بابك بن أبي برزام [٨]، والمزدكية نسبة إلى مزدك[٩]، ولكنها ديانات ثنوية تؤمن بالقسمة الإلهية بين اثنين نور وظلمة[١٠].

---

(١) السيادة العربية، فان فلوتن، ٧٥، الترجمة العربية، مطبعة السعادة، القاهرة سنة ١٩٣٤م.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي، ٧٣ ، المطبعة المنيرية، القاهرة ١٣٤٧ هـــ.

(٣) الخوارج والشيعة، فلهاوزن، ٢٤١، الترجمة العربية، مطبعة لجنة التأليف ولانشر، القاهرة ١٩٥٨م.

(٤) browne: literary history of perdiavol ١ p ١٣٠ . بواسطة الشعوبية حركة مضادة للإسلام ١١.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ٧٢/٢، المطبعة الأدبية، القاهرة ١٣٢٠هــ.

(٦) مروج الذهب للمسعودي ٢٠٠/١، طبعة باريس، ١٨٦١م.

(٧) الفهرست لابن النديم ٤٨٨، ومروج الذهب ٢٠٠/١.

(٨) الفهرست لابن النديم ٤٧٠ .

(٩) تاريخ الطبري ٨٨/٢، والفهرست لابن النديم ٤٩٣.

(١٠) الأخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري ٢٥، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٠ القاهرة .

وكانت هناك العقيدة الزورانية التي تعتقد " أن زوران هذا صنو لإله البابليين نون أو القدر الذي يتسلط على الآلهة كما يتسلط على المخلوقات"[١] .

وكل هذا مناقض لأصل الإسلام الذي يأمر بعبادة الله وحده في قوله تعالى: { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[٢]، ونهى عن اتخاذ إلهين فقال: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آَلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا}[٣].

ثالثا: ضياع الملك:

فقد كان عند الفرس أمور خاصة بالملك وثيقة الصلة بفكرة الآلهة عندهم، إذ كان الناس يختارون باختيار الملك الذي حلت فيه روح الله، فكان رئيس الوزراء ورئيس الموبذاة وقائد الجيش وحكام الأقاليم المرازبة [٤]، وكل هؤلاء ممثلون لسلطة الإله عندهم، مع ما فيه من أبهة دنيوية وملك ذهب به الاسم إلى غير رجعة.

وبناء على ذلك فقد كان المجتمع الفارسي مجتمعا طبقيا بشعا، فهناك الأشراف ورجال الحرب والكتاب وعامة الشعب والزراع والصناع والدهاقين ورؤساء القرى [٥].

ولقد بلغت الحضارة الفارسية أوجها من الظهور والقوة حتى " إن ملوك الأرض في فترات كانت تحمل إلى بهمن الملك الإتاوة " [٦].

---

(١) الله، للعقاد، ٧٨، كتاب الهلال، القاهرة .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية رقم ١٠٢ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، آية رقم ٤٢.

(٤) قصة الحضارة ديورانت ٢٤١، الترجمة العربية، لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٨٥.

(٥) التاج للجاحظ، ٢٥، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩١٢.

(٦) تاريخ الطبري ٤/٢ .

وكانت تعد القوة الثانية مع الروم والتي تحكم العالم من حولها بل أصبحت " مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن الساسانيين واستولت برا وبحرا على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم " (١).

وكانت أرض السواد من المناطق الفارسية القديمة فكان العرب ينظرون للفرس على أنهم قوة مستعمرة يجب التحرر منها، وهو الأمر الذي أنجزه الإسلام بعد أمد طويل جدا (٢).

قال ابن حزم: "والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم، حتى إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى " (٣).

رابعا: ضياع النسق الاجتماعي المستقر:

فقد كان الزرادشتية " يستحلون زواج الأمهات وقالوا الابن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة " (٤).

ويذكر بارتولد أنهم "أباحوا زواج الأب من البنت والابن من الأم والأخ من الأخت"(٥).

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية، بارتولد، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة .

(٢) تاريخ الطبري ٧٠/٢ بتصرف، الطبعة الحسينية .

(٣) الحركات الهدامة في الإسلام ١١-١٢، محاضرات في تاريخ الأممالإسلامية – الدولة العباسية ١٩٦

(٤) تلبيس إبليس ٧٣ .

(٥) تاريخ الحضارة الإسلامية ل بارتولد ٩٥.

وكان المانوية " لا يرون الذبيحة ولا يأكلون اللحم ولا شيئا من الحيوانات "[1].

وكانوا يحرمون الماء الطهور ولا يقرون الغسل به[2].

وكانت لهم عبادات منها الصلاة على أوقات تبدأ بالصلاة الأولى منها عند الزوال، والثانية بين الزوال وغروب الشمس، ثم صلاة المغرب بعد الغروب، ثم العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات، إضافة إلى صيام أمده ستة وثلاثون يوما[3].

فكل هذه أمور اجتماعية نسخها الإسلام ووضع بدلها تشريعاته، فأوجبت تلك العداوة وذاك الطعن الذي ظهر في طابع الشعوبية.

خامسا: تفضيل أنفسهم عن العرب:

وبيان ذلك أنهم كانوا يرون أنفسهم أفضل من العرب كأصل إذ يرون " أن الفرس من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام والعرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم وإسحاق بن سارة الحرة وإسماعيل بن هاجر الأمة، فهم أفضل من العرب لأنهم من الأحرار، وأما العرب فأبناء اللخناء " [4].

سادسا: شعور الشعوبيين بالنقص تجاه العرب:

وقد تمكن هذا الشعور عندهم لما رأوا تحكم الأمويين في مفاصل السلطة ورتب الجيش واستعلائهم على الموالي ونظرتهم الدونية لهم والحط من شأنهم وإقصائهم عن المراكز الحساسة في الحكم والقضاء وإمامة المساجد، والانضمام

---

(١) نظم الجوهر لابن البطريق ١٤٦ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق والطبري ٤٣/١٠ .

(٤) رسائل البلغاء للقرطاجني ٢٦٥.

إلى الجيش النظامي[1]، مما أشعل جذوة العصبية القومية، وأدى إلى تضخم النزعات القومية الاستقلالية في نفوس الموالي، الفارسية منها على وجه الخصوص.

بل ما دل عليه واقعهم من أنهم هم السبب الرئيس لانتصار العباسيين علـى الأمويين، مما أورث في نفوسهم تيهًا وشعورًا بالتفوق علـى العـرب مـع أن الواقع مخالف لذلك من حيث إقصائهم وتنحيتهم عن مواقـع الإدارة والقيـادة، ولذلك فقد كان سقوط الخلافة الأموية التي ترتكز قوتها أصلا علـى العـرب، وقيام الخلافة العباسية سنة ١٣٢هـ التي كان عامة أنصارها من خراسـان – حيث أسند الخلفاء وخاصة الذين كانت أمهاتهم فارسيات، كالمأمون، وآخـرون إدارة شؤون الحكم إلى الموالي مثل الإشراف على ديوان الخَراج والرسـائل، ووظائف الحراسة والحجابة، وفي ميادين فنية مختلفة وكانت ردهـات الـبلاط السياسي العباسي تعج بهم، فالبرامكة جمعوا بأيديهم أطراف السياسة التي تسير عليها الدولة العباسية، بل إن عاصمة بني العباس وإن كانت في بغـداد إلا أن المأمون عندما نجح في إخماد الفتنة استقر في مرو بضغط من الفـرس الـذين أحاطوا به من كل جانب وحرضوه على البقاء بينهم في محاولة مـنهم لنقـل عاصمة الخلافة من بغداد عاصمة العرب إلى خراسان عاصمة الفـرس علـى أمل إعادة الإمبراطورية الفارسية إلى سابق عهدها [2].

كما استخدموهم في حرسهم وجيوشهم لقمع الرعية – مؤذنا ببداية عـصر جديد سيكون للموالي والعجم دور كبير فيه، وما يحتاجه ذلك من تبريرات أدبية وفكرية وعقائدية، تسوغ اعتماد الخلافة العباسية عليهم دون العرب.

---

(١) الحيوان ٧/٢٢٠ .

(٢) العرب والفرس ٢٠٦. وموقع صدى العرب الشعوبية حركة مضادة للعرب وللإسلام والتاريخ دكتور أحمد حسين النمكى http://www.sada-elarab.com/١٧٩٤٤

سابعا: الحسد:

وهو أنهم يحسدون العرب على ما آتاهم الله من فضله، فبعد أن كان العرب لا يجرؤون على النظر إلى فارس، فإذا هم أسياده وقادته والمتغلبين عليه، وقد بيَّن ذلك ابن قتيبة بذلك قائلا: " والحسد هو الداء العياء أول ذنب عصي به الله في الأرض والسماء ومن تبيين أمر الحسد بعدل النظر أوجب سخطه على واهب النعمة، وعداوته ولمؤتي الفضيلة، لأن الله تعالى يقول " نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا " [(١)].

وقال الجاحظ: "وقد يكون أن ينقدح في قلوب الناس عداوات وأضغان، سببها التحاسد الذي يقع بين الجيران، والمتفقين في الصناعة، وربما كانت العداوة من جهة العصبية، فإن عامة من ارتاب بالإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه، وطول الجدال، المؤدي إلى القتال، فإذا أبغض شيئا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف والقدوة[(٢)].

فهو تبارك وتعالى باسط الرزق وقاسم الحظوظ والمبتدئ بالعطاء.. [(٣)].

ثامنا: النفاق والطعن في الدين:

وذلك كفعل كثير من المنافقين إما أصالة أو طارئا، فإنهم يكيدون الدين بمختلف البدع والخزعبلات بغية ضعفه، ثم الانقضاض عليه.

قال ابن تيمة رحمه الله تعالى في سبب ظهور الشعوبية: والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق إما في الاعتقاد وإما في العمل، المنبعث

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الزخرف، آية رقم ٣٢ .
(٢) الحيوان ٧ /٢٢٠.
(٣) فضل العرب لابن قتيبة ٣٨.

عن هوى النفس، مع شبهات اقتضت ذلك[١]، ولهذا جاء فـــي الحـــديث "حـــب العرب إيمان وبغضهم نفاق"[٢].

تاسعا: رغبتهم في الملك والاستيلاء عليه:

وذلك لأنهم أهل ملك بالأساس قد نزع منهم، ثم رأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حصر الخلافة والرئاسة في العرب فقال: لا يزال هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين [٣]، فلما رأوا أن البـــاب مغلق عليهم من هنا، أرادوا فتحه من جهة أخرى وهي تصوير العرب بـــأنهم أمة لا تستحق الرئاسة لأنها همجية صحراوية لا إدارة عنـــدهم ولا سياســـة، فكانت بدعتهم الشعوبية .

كان كل هذا مسوغا لهم في ظهور تلك البدعة وكأنهم رأوا أحقيـــتهم علـــى العرب بما فعلوا ونجحوا فيه.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١٤٩.

(٢) الحاكم ٦٦٩٨ .

(٣) البخاري ٣٣٠٩.

المبحث الثاني

أقسام الشعوبية وأساليب نشر أفكارها

المطلب الأول: أقسام الشعوبية

بالنظر إلى أصول تلك فرقة الشعوبية يمكن انقسامها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشعوبية العقائدية:

إن الناظر في ظاهر الفرقة الشعوبية قد لا يلمح توجهها العقدي، وأنها فرقة عقائدية؛ لكن المتمعن في أصولها وأدبيَّاتها يُدرك بوضوح أنها فرقة عقائدية بامتياز، لأمور عدة:

أولها: أن الطعن في العرب يقتضي الطعن في أحقيتهم بإنزال القرآن والإسلام عليهم، ثم تكليفهم بنشره ودعوة الأمم إليه، وبه يتم الطعن في مرسل الرسالة ومن أرسلت إليه ليبلغها.

ثانيها: أن غالب من اتصف بالشعوبية قد ظن بقلة الدين بل الزندقة في أحيان إما ديانة أو قضاء أو كلاهما، وقد قتل بعضهم في ذلك كابن المقفع، وبشار بن برد.

ثالثها: أن البعض كالجاحظ عندما أراد بيان مذهبهم وصفهم بقوله: " الشعوبية .. المبغضون لآل النبي وأصحابه ممن فتح الفتوح وقتل المجوس وجاء بالإسلام " (١).

وهذا هو ما فطن إليه أحمد رحمه الله تعالى حيث ذكر تلك الفرقة في عقيدته التي رواها عنه الكرماني فقال: "ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها، ونحبهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، "فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق"(٢)،

---

(١) البخلاء ٢٢٨ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٨٧.

ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي، الذين لا يحبون العرب، ولا يقــرون لها بفضل، فإن لهم بدعة ونفاقا وخلافا" (١).

وذكرها مرة أخرى في عقيدته التي رواها أحمد بن جعفــر الإصــطخري بقوله: "والشعوبية وهم أصحاب بدعة وضلالة، وهم يقولون إن العرب والموالي عندنا واحد، لا يرون للعرب حقا، ولا يعرفون لهم فضلا، ولا يحبــونهم، بــل يبغضون العرب، ويضمرون لهم الغل والحسد والبغضة في قلوبهم، وهذا قول قبيح ابتدعه رجل من أهل العراق، فتبعه يسير، فقضي عليه" (٢).

وهذا التكرار لذكرها من أحمد رحمه الله تعالى تأكيد لأهميتها، وقد تبع أحمد على ذلك عبد القاهر البغدادي فذكرهم ضمن فرق أهل البدع المتــأثرة بــدين الباطنية، حيث قال عنهم: "والذي يروج عليهم مذهب الباطنية أصناف: أحــدها العامة الذين قتلت بصائرهم بأصول العلم والنظــر كــالنبط والأكــراد وأولاد المجوس، والصنف الثاني الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم علــى العــرب، ويتمنون عود الملك إلى العجم" (٣).

وقد عرف عبد القاهر الباطنية بقوله: "الذي يصح عندي من دين الباطنيــة أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها، لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع"(٤).

بل قال أيضا: إن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التــي يتأولون عليها القرآن والسنة (٥).

القسم الثاني: وهي الشعوبية المفضلة التي تفضل غير العرب على العرب، وهم الغالية في الشعوبية.

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ٤. طبقات الحنابلة ٣٠/١.
(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ٩. طبقات الحنابلة ٣٤/١.
(٣) الفرق بين الفرق ص/٢٦٦.
(٤) المصدر السابق٢٦٠.
(٥) الفرق بين الفرق ١٧٠ .

وتميز تلك الفروق بأنها ليس لها بعد عقائدى مقصود بعينه، بل الأمر دائــر عندهم على قضية واحدة وهي " تفضل الأجناس الأخرى على العرب "، بدليل أن لم يظهر منهم أي شيء يقتضي الطعن في العرب أو دينهم.

ويرجع هذا إلى رؤيتهم لفضلهم على العرب وامتداد حضارتهم وظهورهــا، بعكس العرب، فلم تكن حضارة بالمعنى المتبادر المعروف من الآثار والأعمال والقصور ونحوها، اللهم إلا الشعر فقط، وهو وإن كان إرثا يفتخر به إلا أنــه يشاركهم فيه غيرهم من جهة، وأيضا فهو معنوي لا مادي، ولانفس تنزع إلــى تعظيم المادي المحسوس أكثر من المعنوي غير الحسوس.

فقد ادعت الفرس " أن الأمم كلها من الأعاجم من كل شــيء مــن الأرض ملوك تجمعها مدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة تنتهجها .. ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ولا كان لهم قط نتيجة من صناعة ولا أثر من فلسفة " [(١)].

وهؤلاء في الواقع هم لحمة الدين استعان بهم العباسيون في إقامة الخلافــة العباسة، إذ كان الخلفاء العباسيون من المتمسكين بالدين فــي الجملــة، ومــن أشهرهم بذلك المنصور، حيث كان شديدا على المبتدعة والفرق الباطلة ويقاربه في ذلك المأمون رحمه الله تعالى.

وقد كان المنصور مشهورا بذلك حدا وقد قصب فيه عدة زنادقة من أشهرهم صالح بن عبد القدوس [(٢)]، وصالح بن أبي عبيد الله [(٣)]، في عدة آخرين .

القسم الثالث: الشعوبية المساوية، التي ترى مساواة جنس العرب بغيــرهم، وتنفي أي فضل للعرب على غيرهم.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٠٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٣٣/٣ .

(٣) المصدر السابق ١٣٣/٣ .

وتلك الفرقة أيضا لا تفترق كثيرا عن سابقتها إلا أنها لا تحمل بغضا لهـم، وإنما فقط ترى أنها لا تقل عن العرب، وأن مجرد إنزال الرسالة على العـرب ليس مسوغا لتفضيلهم على بقية الناس، لذلك دخل العلماء معهم بالنقاش والجدال والبيان، ومن أشهر من ناقشهم وبين خطأ مذهبهم الإمام ابن قتيبة حيث ألـف كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها [١].

وقد ناقش ابن قتيبة استدلالات الشعوبية المساوية بالآيات والأحاديث وأبطلها وهي لا تخرج برمتها عن ما ذكرنا من أساليبهم من اهتبال متـشابه القـرآن والاستدلال به، فلا نكرره خشية الإطالة.

المطلب الثاني: أساليب الشعوبية في نشر أفكارها

اتخذ الشعوبيون أساليب مختلفة لنشر أفكارهم وجذب الأنصار إليهم والوصول إلى أهدافهم وسيذكر الباحث بإيجاز ما توصل إليه واستفاده من غيره في معرفة هذه الأساليب.

١- تأجيج روح العصبية لجنسهم:

وقد اتبعوا في ذلك طرقا شتى منها ترجمة كتب الفرس، وإظهار علـومهم، والتصنيف في بيان تجذر حضارتهم في عمق التاريخ، ونشر حكايـاتهم، وقـد أدرك العلماء ذلك، وممن أدركها قديما الجاحظ؛ حيـث قـال مفنـدا لـضعفها وتهافتها: "هلك بها عالم بعد عالم، والحمية التي لا تبقي دينا إلا أفسدته ولا دنيا إلا أهلكتها، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية، وما قد صار إليـه المولى من الفخر على العجم والعرب".

ويقول كذلك "ليس أدعى إلـى الفـساد ولا أجلـب للـشر مـن المفـاخرة بالأنساب"[٢].

---

(١) فضل العرب والتنبيه على علومها، الناشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٨.

(٢) رسائل الجاحظ ١٦/١، وانظر دفاع الجاحظ عن العروبة والدين جريدة الاتحاد ١٩ يونيو ٢٠١٣.

٢- تفضيل اللغة الأعجمية على العربية:

وذلك عبر نشر لغتهم وبيان محاسنها، وتعليمها لأولادهم بجانب العربيـــة، وعدم هجرانها بعد إسلامهم، الأمر الذي جعل كثيرا من العلماء يؤلف في كتب الأدب وبيان فضل العربية:

فألف ابن قتيبة كتاب المعارف في الأدب، وألف ابن الأثيـــر الكامـــل فـــي الأدب، وألف الجاحظ البيان والتبيين في الأدب، وألف أبو علي القالي الأمـــالي في الأدب، وكل تلك الكتب إنما قصد أصحابها إلى مقصدين:

المقصد الأول: بيان أصالة العربية وقوة بنائها، وفضلها في نفـــسها وعلـــى غيرها.

المقصد الثاني: بيان أن للعرب تاريخًا وحضارة وعمقًا أدبيًا كغيرهـــا مـــن الأمم والشعوب.

٣- استغلال متشابه القرآن:

من الأصول المتعارف عليها بين أهل العلم أن من القرآن ما هو متـــشابه لا يعمله إلا الله، ومنه ما هو محكم يعلمه أهل العلم، بل العوام في أحيان، قال الله تعالى:{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـــابِ وَأُخَـــرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْـــدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}(١).

وقد تميزت جميع الفرق المباينة للصراط أنها تلتمس لبـــدعها دلـــيلا عبـــر اللجوء إلى هذا المتشابه، فيستدل الثنوية بقوله تعالى: " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله " (٢)، على أن ثمة إلهين كما عندهم إلهان للنور والظلمة، وهذا

(١) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية رقم ٧ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الزخرف آية رقم ٧٤ .

عماية شديدة فالله في السماء إله وفي الأرض إله وفي القفار إله وفـي البحـار إله، أفيجوز أن تُعدد الآلهة لهذا؟.

وعلى هذا النسق جرت الشعوبية ففي بداية أمرها استدلت بقوله تعالى:{ يَـا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَـارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(١).

يريدون بهذا أن ينشئوا مساواة لا ضابط لها بين الناس، وهذا مـن الخطـأ الشديد والتدليس، ذاك أن المساواة لا تقتضي التسوية كما هو معلوم في أصول النظر والحكم (٢).

ومن هذا أنهم يستدلون على فخر العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم بقـول الله تعالى:{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَـاتَمَ النَّبِيِّـينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}(٣).

وليس هذا أيضا بالدال على قصدهم من نفي افتخار العرب بمحمد، وكونـه صلى الله عليه وسلم ليس أبا لأحد من رجالكم فهذا لا ينفي أنه أبـو المـؤمنين ومولاهم وسيدهم، حتى قال الله تعالى: { النَّبِيُّ أَوْلَى بِـالْمُؤْمِنِينَ مِـنْ أَنْفُـسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}(٤).

٤- وضع الأحاديث التي تفضل العجم على العرب:

عرف الشعوبيون ما تشكله الأحاديث النبوية مـن قدسـية واحتـرام عنـد المسلمين، فراموا خداعهم عبر وضع أحاديث منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تفضيل الشعوبية، ومن هؤلاء عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي اتهـم بالزندقة وقد وضع أربعة آلاف حديث مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم

(١) القرآن الكريم ، سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

(٢) انظر الجذور التاريخية للشعوبية ١٣-١٤.

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأحزاب آية رقم ٤٠ .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٦.انظر الجذور التاريخية للشعوبية ١٣-١٤.

وهو الأمر الذي اعترف به عند الحكم عليه بالإعدام في عهد المنصور، مما جعل العلماء يقعدون قاعدة في هذا الباب في علوم الأخبار:

ففي الحديث أصل علماء الحديث أن باب الفضائل من الأبواب الواسعة التي تحتمل الوضع والضعف.

وفي الأدب قال الجاحظ: "هذه الأحاديث من أحاديث الفرس، وهم أصحاب نفخ وتزيد ولاسيما في كل شيء مما يدخل في باب العصبية ويزيد من أقدار الأكاسرة"(١).

٥- الدخول في الأدب.

فقد " اعتمدت الشعوبية الأدب وسيلة لزرع بذور الشقاق والكراهية في نفوس الناس من غير العرب ومن غير المسلمين تجاه العرب خاصة والإسلام عامة، وكان الأدب أحد أهم الأدوات التي استغلت في هذا الاتجاه لكونه أكثر التصاقا في عقول الناس وأقرب تأثيرا في نفوسهم"(٢).

وقد كان لهم في هذا الباب صولة عظيمة، ومن أبرز الدعاة منهم لذلك ابن المقفع فقد كان أديبا مصقعا، فصيحا ملما بآداب الفرس وآداب الإسلام، فترجم كتب العجم ككليلة ودمنة، وصنف الكتب الأدبية التي تذكر آداب الفرس وإن لم ينسبها إليهم: كالأدب الكبير والصغير وغيرها، واشتهر عنه " أنه كان زنديقا ولا يقيم وزنا لدين الإسلام"(٣)، ولذلك فقد تم قتله في عهد الدولة العباسية، وكانت هذه النزعة من أبرز أسباب قتله .

ومن هؤلاء سهل بن هارون وقد كان فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب كما ذكر ياقوت الحموي (٤).

---

(١) الحيوان ، للجاحظ١٨٩/٧.

(٢) بلاغة الحجاج فى النثر العربى العباسي –قضية الشعوبية– ١٧.

(٣) حركات فارسية مدمرة ٣٨-٣٩ للدكتور بديع شريف .

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٣٦٨/١، تصحيح مرجليوث، دار الكتب العلمية.

وممن ذكر بذلك الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن سعيد [١]، وبشار ابن برد، وقد قتل في الزندقة[٢] وغيرهم عدة .

٦- الدخول في فن الشعر:

يعد الشعر من أبرز موروث العرب وأكثره أهمية من الجهة الثقافية عندهم، حتى قيل: إن الشعر ديوان العرب، وقد بلغ من أهمية الشعر عندهم أن كانــت القبيلة تفتخر بالشاعر منهم افتخارها بعلو نسبها وصليبية عربيتها، حتى صـــار قول الشعر سليقة عندهم، وصار يقوله الكبير والــصغير والمــرأة والرجــل، وخلدت بعض قصائدهم حد تعليقها في الكعبة وهي القصائد المسماة بالمعلقــات السبع، بحيث أنه يندر أن لا تجد عربيا لا يحفظ شعرا أو يتقنه، حتــى إن الله تعالى جعل عدم معرفة النبي صلى الله عليه وسلم الشعر من مظــاهر نبوتــه وأدلتها فقال: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} [٣] وهو شيء نادر في العرب.

ولقد أدركت الحركة الشعوبية ذلك فجعلت الشعر مسلكا آخر مــن مــسالك الطعن في العرب وتفضيل العجم عليه،فكثر قولهم الشعر في ذلك، حتى تميــز وعرف ووسم عند علماء الأدب بالأدب الشعوبي، وممن ذكروه بذلك أبو القاسم الفردوسي وعمر الخيام وأبو مسلم الخراساني وأبو بكر الخرمي والرودكي .

٧- الوصول إلى الملوك ومراكز السلطة:

وهذا تبعا لقول القائل: الناس على دين ملوكهم، وهي قاعدة اجتماعية صائبة قوية، دل الواقع على قوتها ونفاذها، والشعوبيون يدركون ذلك جيدا؛ لذلك فقــد توصلوا إلى الملوك وزرعوا فيهم تلك النزعة، فكانت محاولاتهم الأولـــى مــع الدولة العباسية وأفلحوا كثيرا فيها، وإن لم يفلحوا في حرف سلوك الخلفاء ضد

---

(١) الفهرست لابن النديم ١٠٣/١٠ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٤٥/١ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة يس آية رقم ٦٩ .

العرب لأن الخلفاء عرب صليبية ينتمون لقريش، فلما علموا ذلك، لجـأوا إلـى الدس، حيث دس أبو منصور الدقيقي، ثم بعده أبو القاسم الفردوسي الحط على العرب والطعن فيهم في الملحمة الأدبية الشعرية الفارسية المسماة بالـشاهنامة، وهي ملحمة تحكي تاريخ الفرس ومآثارهم وتاريخ ملوكهم(١) .

فقال في بعض أبياتها: من شرب لبن الإبل وأكل الضب؟ بلغ العرب مبلغـاً أن يطمحوا في تاج الملك! فتباً لك أيها الزمان وسحقا(٢).

هذا على الرغم من أن المـُكلف لأبي منصور بذلك ثم الفردوسي هو الملك العادل الفقيه العالم الغازي محمود الغزنوي الذي أطبقت كتب التـراجم علـى إجلاله والثناء عليه، حتى قال فيه السبكي: أحد أئمة العدل ومن دانت له الـبلاد والعباد وظهرت محاسن آثاره وكان يلقب قبل السلطنة سيف الدولة وأما بعدها فلقب بيمين الدولة، كان هذا السلطان إماما عادلا شجاعا مفرطا فقيها فهما سمحا جوادا سعيدا مؤيدا، ويتابع قائلا: قد اعتبرت فوجدت أربعة لا خامس لهم فـي العدل بعد عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلا أن يكون بعض أنـاس لم تطل لهم مدة ولا ظهرت عنهم آثار ممتدة، وهم سلطانان وملك ووزير فـي العجم، وهما هذا السلطان والوزير نظام الملك، وسلطان وملك في بلادنا وهما السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس وقبله الملك نور الدين محمود بن زنكي الشهيد(٣).

فمع هذا العدل والفقه توسلوا بالتقرب إليه واسمه للطعن في العرب وإنـشاء ملحمة شعرية توصف بأنها من أعظم الآثار الأدبية الفارسية وضمنوها الطعن في العرب والعربية، ولا شك أن السلطان لو التفت إليها لكان له موقف معهم،

---

(١) معجم السياسيين المثقفين في التاريخ العربي والإسلامي ص ٨٣٠.

(٢) الشاهنامة بواسطة: https://al-maktaba.org/book/٣١٦١٦/٧٦١٧١#p١٤

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٥/٣١٥ .

لكنه لانشغاله بالغزو ومراعاة شئون الخلق لم يتفرغ لهـا إذ بقـي الـشاعران المشار إليهما قرابة السبعة وثلاثين عاما في تصنيفها.

٨- الوصول إلى الأشخاص المؤثرين في المجتمع ودعوتهم إلى ذلك:

ومع كون الشعوبية في الأصل حركة غير عربية، ولم تجـد رواجـا بـين العرب، حيث كانت أكثر ما تشيع في الفرس، إلا أنهم قد نجحوا في التأثير على بعض وجوه العرب من الشعراء وغيرهم فأثروا فيهم، حتى صاروا مناصرين لهم مؤيدين لفكرتهم، وترجمهم العلماء بما يفيد أنهم من الشعوبية، ومن هـؤلاء ضرار بن عمرو الغطفاني المعتزلي المتكلم، فقد قالوا عنه "كانت في أبي عمرو ضرار بن عمرو ثلاثة من المحال: كان كوفيا معتزليا، وكان من بني عبـد الله ابن غطفان، ويرى رأي الشعوبية، ومحال أن يكون عربي شعوبيا" [(١)] .

ووصف الجاحظ أبا عبيدة معمر بن المثنى بتلك البدعة فقـال فيـه: وهـذا التأويل أخرجه من أبي عبيدة سوء الرأي في القوم[(٢)].

ووضحه ياقوت بقوله: كان علما بالشعر والغريب والنسب .. قيل عنه كان شعوبيا[(٣)].

ومن هؤلاء إسماعيل بن يسار مولى بن تيم بن مرة، وقد كان من الـشعراء قال فيه أبو الفرج الأصفهاني: كان شعوبيا شديد التعصب للعجم وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم [(٤)].

٩- الحط من سلوك العرب وعاداتهم الاجتماعية:

من الأمور المؤصلة في نفوس الخلق أنك لا تستطيع الحط من أحد دون أن تحط من سلوكه المتعلق بالعادات والتقاليد؛ مـن معـاملات ولبـاس وطعـام

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه /٥٣ .
(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢٢/٣.
(٣) وفيات الأعيان ٣٢٣/٤.
(٤) الأغاني ١٢٤/٤ .

وشراب، ولم تغفل الحركة الشعوبية عن ذلك حيث طالت بـــالتنقيص والازدراء كل مظاهر حياة العرب، وقد حكى أبو هلال العسكري هذا عنهم فقال: "وعاب بعض الشعوبية العرب باتخاذ الثريد. قال حصين لفيروز أحب أن أتغدى عندك، قال: فما تشتهي؟ قال: ثريداً، قال: إني أكره أن أضـــع علـــى مائـــدتي طعـــام الكلاب، ولكني أتحمل ذلك لك"![1].

١٠- الطعن في الدين تحت حرية الفكر والنظر:

فقد طعن بعضهم " على قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته، وعلـــى عصاه ومخصرته، وعلى عصا موسى"[2].

ولم يكن هذا منهم بالمباشرة فلا يستطيعه أحد في عصر قوة الدولة الإسلامية وظهور الدين، وإنما كانوا يدخلون هذا في سياق ذكرهم لملوك الفرس والعجم، وكيف كان لباسهم وأبهتهم وصولجانهم ومأكلهم ومشربهم ونحو ذلك.

(١) الأوائل للعسكري ١٣.

(٢) البيان والتبيين ٤٣٢/١

المبحث الثالث

موقف أهل السنة والجماعة من الشعوبية

اتفق أهل السنة على رفض الشعوبية وتهجين مـذهبها واعتبارهـا نزعـة عنصرية يأباها الإسلام، وأن أصولها وتأصيلها يناقض أصل الإسلام القائم على الأخوة الإيمانية، وعدم التفاضل بين الخلق أمام الله، وهذه المطالـب الأربعـة توضح خلاصة موقفهم:

المطلب الأول: مكانة الإنسان في الإسلام وتفضيل العرب على غيرهم

الفرع الأول: مكانة الإنسان في الإسلام

فقد أقام الشارع العلاقة بين المسلمين على ميزان العدل والمساواة وتـساوي الحقوق والواجبات، ونادى بالأخوة بينهم، لا فرق في ذلـك بـين عربـي أو عجمي، وآيات القرآن والسنة مبينة لهذا مثبتة له.

- إثبات الله تعالى وسم المؤمنين بطابع الأخوة فقال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(١)، أي الجميع إخوة فـي الدين.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"(٢).

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (٣).

وقال أيضا: "إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك مثله" (٤).

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحجرات، ، آية رقم ١٠.

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٤٤٢، وصحيح مسلم رقم ٦٦٧٠.

(٣) مسند أحمد رقم ١٠٥٠٢، وسنن النسائي رقم ٧٢٤٦ .

(٤) صحيح مسلم رقم ٧٠٢٧ .

والأحاديث في إثبات الإخوة بين المؤمنين كثيرة مستفيضة لا نطيل بذكرها.

- إثبات أن المؤمنين كالجسد الواحد، ففي الصحيح: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"(١).

وقال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"(٢) وشبك بين أصابعه صلى الله عليه وسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد في الرأس"(٣).

وفي هذا من عظيم التشبيه ما يشير إلى أنه لا فرق بين المسلمين، إذ جعلهم كالجسد الواحد المنصوب في شخص واحد.

- إن الشارع كافأ في الدماء بينهم، فقال صلى الله عليه وسلم: " المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على مَنْ سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم " (٤).

وهذا من أعظم ما يكون من المساواة إذ جعلهم كالدم الواحد معنويا وماديا، وجعلهم سواء في هذا.

- أن الشارع جعل ذمة المؤمنين واحدة، فمتى أجار أحد من المسلمين أحدا من الناس فهو في جوار المسلمين جميعا، لا تخفر ذمته، ولا ينقض عهده، وهذا بيّنٌ من قوله في الحديث السابق: " وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم "(٥).

---

(١) صحيح البخاري رقم ٦٠١١، وصحيح مسلم رقم ٦٦٧٨.

(٢) مسند أحمد ٧٧٢ ، ومسند عبد بن حميد ٥٥٦ .

(٣) مسند أحمد رقم ٢٣٢٦٥ .

(٤) مسند أحمد ٩٩٣، وسنن أبي داود ٨٦٢٩ .

(٥) مسند أحمد رقم ٩٩٣، وسنن أبي داود رقم ٨٦٢٩ .

- إن الشارع نفى كل أفضلية متوهمة بين المؤمنين إلا بـالتقوى والعمـل الصالح فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحـد ألا لا فـضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسـود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت[1].

وطاف النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح على راحلته يـستلم الأركـان بمحجنه، فلما خرج لم يجد مُناخاً، فنزل على أيدي الرجال، ثم قام، فخطـبهم، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: "الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية، وتكبرها بآبائها، الناس رجلان: بر كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، ثم تلا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَـارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[2]، ثم قال: "أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم"[3]. فحصر القسمة بين البر والفاجر، وجعل التفاضل بالتقوى .

- إن الشارع أهدر كل دعوة تؤثر في أصل الأخوة ونهى عنه، فعن جـابر ابن عبد الله قال: كنا في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى جاهلية؟!"، قالوا: يا رسـول الله، كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: "دعوها فإنها منتنة"[4].

فوصف كل دعوة تؤثر على أصل الأخوة الإيمانية بالمنتنة، وإنما اختار هذا اللفظ تنفيرا وتغريبا عنها وتحذير من التلبس بها .

وقال: وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله" [5].

---

(١) مسند أحمد رقم ١٥٦٩٣.
(٢) سورة الحجرات ، آية رقم ١٣.
(٣) البغوي في شرح السنة ٥٠٦/٦.
(٤) صحيح البخاري رقم ٤٩٠٥.
(٥) صحيح البخاري رقم ٦٠٦٥وصحيح مسلم رقم ٤٧٦٩.

- أنه نفى الانتماء لجماعة المؤمنين عن كل من ينادي بالعصبية على جنس أو نوع أو قبيلة، فعن جبير بن مطعم قال: قال صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية"[١].

والأدلة على هذا الأصل أكثر مما تحصى وتعد، إذ هي قوام الدين وأصل الأخوة وبقاؤها والتي هي أصل بقاء الإسلام واستمراره.

الفرع الثاني: تفضيل العرب على غيرهم.

بين أهل السنة والجماعة أن تفضيل العرب على غيرهم، إنما يكون الجنس لا باعتبار الأفراد، فلا يقال عن كل فرد من العرب أفضل من غيره من غيرهم، بل قد يجوز أن يكون من غير العرب من هو أفضل من أعرق العرب في النسب، وتلك الأفضلية قد تكون في كل شيء وقد تكون في شيء دون شيء، والمسلم المؤمن أفضل من ملء الأرض ذهبا من مثل عربي صليبة فاسق أو كافر، وهذا امر مجمع عليه ولا خلاف فيه البتة.

قال الله تعالى: " ولعبد مؤمن خير من مشرك " [٢].

وقال شيخ الإسلام: " وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم" ، لكنه استدرك فقال: " لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد، فإن في غير العرب خلقًا كثيرًا خيرًا من أكثر العرب" [٣].

وقال: "بينا أن تفضيل الجملة على الجملة لا يقتضي تفضيل كل فرد على كل فرد، كما أن تفضيل القرن الأول على الثاني، والثاني على الثالث، لا

(١) سنن أبي داود رقم ٥١٢١.

(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢٢١ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٩/٢٩-٣٠.

يقتضي ذلك، بل في القرن الثالث من هو خير من كثير من القرن الثاني، وإنما تنازع العلماء هل في غير الصحابة من هو خير من بعضهم على قولين" [1].

قال مرعي يوسف الكرمي: " واعلم وفقك الله أن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص من حيث الدين الذي هو المقصود الأعظم، وإن استلزمها من حيث الكفاءة[2].

وقال مرعي بن يوسف الحنبلي الكرمي أيضا: كما إن جنس الرجل أفضل من جنس المرأة من حيث الطائفة والعموم، وأما باعتبار أفراد أو أشخاص، فقد يوجد من النساء ما هو أفضل من ألوف من الرجال كمريم وفاطمة وعائشة، وقد يوجد من العجم ما هو أفضل من ألوف من العرب، كصهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي، ويصح أن نقول إن واحداً منهم مثل بلال، أفضل من جعفر الصادق وموسى الكاظم وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد"[3].

الفرع الثالث: خطورة الخوض في هذه المسألة بالهوى والعصبية:

حذر شيخ الإسلام من الخوض في مسألة التفضيل بالهوى والعصبية، وفيه إشارة إلى ما وقع في هذه القضية من تنابز وافتراق بين المسلمين، وما يجب على الجميع من حقوق الأخوة، والاعتصام بحبل الله جميعا، وعدم التفرق بسبب العصبيات، حيث يقول "مع أن الكلام في هذه المسائل لا يكاد يخلو عن هوى للنفس ونصيب للشيطان من الطرفين، وهذا محرم في جميع المسائل، فإن الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعا، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، وأمر بإصلاح ذات البين، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣٦٤/٤.

(٢) مسبوق الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب ٣٩.

(٣) المصدر السابق ٢١.

وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله"،(٢) وهذان حديثان صحيحان وفي الباب من نصوص الكتاب والسنة مالا يحصى".

فاعتقاد فضل العرب اتباعا للنصوص الواردة في فضلهم، لا ينقص من حقوق الأخوة بين المسلمين، ولا يجعل للعرب بالنسب من الحقوق ما ليس لغيرهم من المسلمين، ولهذا يحرم التفاخر بذلك، كما يحرم البغي والتطاول والتجاوز، كما قال شيخ الإسلام: "وإنما يتم الكلام بأمرين، أحدهما: أن الذي يجب على المسلم إذا نظر في الفضائل، أو تكلم فيها، أن يسلك سبيل العاقل الذي غرضه أن يعرف الخير ويتحراه جهده، وليس غرضه الفخر على أحد، ولا الغمط من أحد، فقد روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه "أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد"(٣)، فنهى سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عن نوعي الاستطالة على الخلق، وهي الفخر والبغي، لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى، فلا يحل لا هذا ولا هذا، فإن كان الرجل من الطائفة الفاضلة مثل أن يذكر فضل بني هاشم، أو قريش، أو العرب، أو الفرس، أو بعضهم، فلا يكون حظه استشعار فضل نفسه والنظر إلى ذلك، فإنه مخطئ في هذا، لأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص، كما قدمناه، فرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش، ثم هذا النظر يوجب نقصه وخروجه عن الفضل، فضلا عن أن يستعلي

---

(١) صحيح البخاري رقم ١٣وصحيح مسلم رقم ٣٥٨٨.
(٢) صحيح البخاري رقم ٦٠٦٥وصحيح مسلم رقم ٤٧٦٩.
(٣) صحيح مسلم رقم ٤٣٢١.

عبدا أو يستطيل وإن كان من الطائفة الأخرى مثل العجم أو غير قريش أو بني هاشم، فليعلم أن تصديقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، ومحبة من أحبه، والتشبه بمن فضله الله، والقيام بالدين الحق الذي بعث الله به عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، يوجب له أن يكون أفضل من جمهور الطائفة المفضلة، وهذا هو الفضل الحقيقي وانظر إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين وضع الديوان، وقالوا له يبدأ أمير المؤمنين بنفسه، فقال لا ولكن وضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى، فبدأ بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم من يليهم حتى جاءت نوبته في بني عدي، وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش، ثم هذا الاتباع للحق ونحوه قدمه على عامة بني هاشم فضلا عن غيرهم من قريش" [1].

المطلب الثاني: بيان فضل العرب وخصائصهم.

الفرع الأول: بيان فضل العرب

اهتم أهل السنة والجماعة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- بالاستدلال على فضل العرب، وبيان أن القضية لها دخل في مطلق التفضيل الذي يفضل به الله تعالى بعض خلقه على بعض، مما يدل على أفضلية العرب وعظيم محتدهم وأصلهم.

قال ابن تيمية: "وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم"[2]. وقال: "فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم وسريانيهم رومهم وفرسهم وغيرهم، وأن قريشا أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١٦٤ – ١٦٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية١٩|٢٩-٣٠.

أفضل بني هاشم[1]، فهو أفضل الخلق نفسا وأفضلهم نسبا، وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم، وإن كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا ونسبا وإلا لزم الدور" [2]. واستدل شيخ الإسلام على" فضل جنس العرب ثم جنس قريش ثم جنس بني هاشم: ما رواه الترمذي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الأرض؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم، ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا"[3].

والمعنى أن النخلة طيبة في نفسها، وإن كان أصلها ليس بذاك، فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه خير الناس نفسا ونسبا، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه ما انقسم الخلق فريقين إلا كان هو في خير الفريقين، فالحديث صريح في تفضيل العرب على غيرهم.

وعن المطلب بن أبي وداعة قال: قال العباس رضي الله عنه: " بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس، قال: فصعد المنبر فقال: " من أنا؟ " قالوا: أنت رسول الله؟ قال: " أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقهم وجعلهم فرقتين، فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل،

(١) ثبت في صحيح البخاري ٣٥٥٧ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله :"بعثت من خير قرون بني آدم؛ قرناً فقرناً؛ حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه".

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١٤٨.

(٣) سنن الترمذي رقم ٣٦٠٧.

فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتا، فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيركم بيتا، وخيركم نفسا". وهذا من أصرح ما يكون من تفضيل العرب على غيرهم.

ومثله أيضا في المسألة ما رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث الأوزاعي عن شداد بن عمار عن واثلة بن الأسقع، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(١).

وهذا يقتضي أن إسماعيل وذريته صفوة ولد إبراهيم، فيقتضي أنهم أفــضل من ولد إسحاق، ومعلوم أن ولد إسحاق الذين هم بنو إسرائيل أفضل العجم، لما فيهم من النبوة والكتاب، فمتى ثبت الفضل على هؤلاء فعلى غيــرهم بطريــق الأولى، وهذا جيد إلا أن يقال الحديث يقتضي أن إسماعيل هو المصطفى مــن ولد إبراهيم، وأن بني كنانة هم المصطفون من ولد إسماعيل، وليس فيــه مــا يقتضي أن ولد إسماعيل أيضا مصطفون على غيرهم، إذ كان أبوهم مصطفى، وبعضهم مصطفى على بعض.

فيقال لو لم يكن هذا مقصودا في الحديث لم يكن لذكر اصــطفاء إســماعيل فائدة، إذا كان لم يدل على اصطفائه ذريته، إذ يكون على هذا التقدير لا فــرق بين ذكر إسماعيل وذكر إسحاق، ثم هذا منضما إلى بقية الأحاديث دليل على أن المعنى في جميعها واحد.

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله اختار العــرب فاختار منهم كنانة أو النضر بن كنانة ثم اختار منهم قريش ثم اختار منهم بنى هاشم ثم اختارني من بنى هاشم فأنا خيار من خيار إلى خيار فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم"(٢).

---

(١) صحيح مسلم رقم ٢٢٧٦.

(٢) مستدرك الحاكم رقم ٦٩٩٦ .

وعن واثلة أيضا مرفوعا: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم: إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل: بني كنانة[1].

فهذا يدل على أفضلية من اختير منهم النبي صلى الله عليه وسلم على غيرهم، وإلا لأرسله من غيرهم، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى تعليقا على واثلة: "هذا يقتضي أنَّ إسماعيل وَذريتَهُ صفوة وَلَدِ إبراهيمَ، فيقتضي أنهم أفْضَلُ من وَلَدِ إسحاق، ومعلوم أنَّ ولد إسحاق –الذين هم بنو إسرائيل– أفضلُ العَجَمِ لما فيهم من النبوة والكتاب، فمتى ثبت الفضل على هؤلاء فعلى غيرهم بطريق الأولى، وهذا جيد "[2].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" [3].

وهذا يدل على أن الناس إذا كانت تبعا لقريش فهم المقدمون عليهم.

وقال سلمان الفارسي: نفضلكم يا معشر العرب لتفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم، لا ننكح نساءكم ولا نؤمكم في الصلاة. قال ابن تيمية إسناده جيد، هو مقصود في المطلوب، وقد أعرضنا عن أحاديث أخر في الباب لضعفها.

واعلم أن الأحاديث في فضل قريش ثم في فضل بني هاشم فيها كثرة، وهي تدل أيضا على ذلك، إذ نسبة قريش إلى العرب كنسبة العرب إلى الناس، وهكذا جاءت الشريعة كما سنومئ إلى بعضه"[4].

---

(١) سنن الترمذي رقم ٣٦٠٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٣٠.

(٣) صحيح البخاري ٣٨٥/٦، رقم ١٨٢١، وصحيح مسلم رقم ١٨١٨.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ١٥٠– ١٥٤ بتصرف.

وقد أرجع ابن تيمية رحمه الله تعالى الأسباب المفضية إلى تفضيل العرب على العجم إلى ثلاثة أشياء: كمال عقول العرب وكمال أخلاقهم وكمال ألسنتهم وبيانهم.

قال رحمه الله تعالى: "وسبب هذا الفضل – والله أعلم – ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح.

والعلم له مبدأ وهو قوة العقل، الذي هو الحفظ والفهم، وتمامه قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة، والعرب هم أفهم من غيرهم وأحفظ، وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بيانا، وتمييزا للمعاني جمعا وفرقا، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل.

وأما العمل فإن مبناه على الأخلاق وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء وغير ذلك من الأخلاق المحمودة.. فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى الذي ما جعل الله في الأرض ولا يجعل منه أعظم قدرا، وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات الجاهلية، والظلمات الكفرية التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتهم، فلما تلقوا عنه ذلك الهدى العظيم زالت تلك الريون عن قلوبهم، واستنارت بهدى الله الذي أنزل على عبده ورسوله، فأخذوا هذا الهدى العظيم بتلك الفطرة الجيدة، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله بعد الأنبياء، وصار أفضل الناس بعدهم من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة من العرب والعجم.

وأيضا فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم

يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله" (١).

وهذا من أعظم ما يمكن أن يستدل به على فضل أحد، وبيان ذلك: أن الإنسان إما عقل أو لسان أو فعل، ومتى كملت الثلاثة كمل الشخص وتم خلقه وخُلقه.

فالعقل هو ميزان الأمور، وأصل العمل وأساسه، وبه يتفاضل المخلوقات على بعضها البعض، والكلام في فضل العقل مستفيض مشهور لا نطيل بذكره.

وكمال الخلق هو نتيجة للعقل فلو لم يكن العقل ما كان الخلق وقل أحدا تراه قليل الأخلاق أو غير مهذبها إلى وفي عقله ضعف وفهمه خلل.

ثم يكون اللسان وهو المعبر عن مكنون العقل وفحوى الأخلاق.

وقال مرعي الكرمي: الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم وورومهم وفرسهم وغيرهم (٢).

الفرع الثاني: خصائص العرب.

من آثار تفضيل الله تعالى للعرب كونهم هم دون غيرهم من الأمم يختصون ببعض أحكام لم يشركهم فيها أحد البتة، فضيلة النبوة والخلافة، وغيرها من الأحكام الشرعية:

قال شيخ الإسلام في بيان ذلك: "فإن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خص قريشا على سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوة، وغير ذلك من الخصائص، ثم خص بني هاشم بتحريم الصدقة واستحقاق قسط من الفيء إلى غير ذلك من الخصائص، فأعطى الله سبحانه كل درجة من

(١) اقتضاء الصراط المستقيم١٦٠ – ١٦٣.

(٢) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب ٢٩.

الفضل بحسبها[1]، والله عليم حكيم، { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }[2] ،{ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ }[3].

ومن آثار إثبات فضيلة العرب ثم قريش ثم بني هاشم، وهو محبتهم في الله، وحفظ مكانتهم وتوقيرهم، فإذا كانت المحبة بين جميع المؤمنين والمسلمين من الإيمان والدين، وكذا توقير المسلم للمسلم حق للمسلم على المسلم، فمحبة العرب المسلمين وتوقيرهم أوجب وأحق، لكونهم أول من آمن وأسلم وجاهد، ولأن كل من أسلم من الأمم بعدهم إلى يوم القيامة، فبسبب جهاد العرب المسلمين وتضحياتهم دخلوا الإسلام، وهذه السابقة توجب محبتهم وحفظ مكانتهم، هذا بالإضافة إلى مكانهم ونسبهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكان رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم، وهذا ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان وجوب محبة العرب: "جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم، وفضل قريش على سائر العرب، وفضل بني هاشم على سائر قريش، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره، والنصوص دلت على هذا القول، كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "إن الله اصطفى قريشا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم"[4].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١٥٤.

(٢) سورة الحج، آية رقم ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، آية رقم ١٢٤.

(٤) صحيح مسلم رقم ٢٢٧٦.

وكقوله في الحديث الصحيح: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"(١)، وأمثال ذلك"(٢).

"وقد بيّن صلى الله عليه وسلم أن هذا التفضيل يوجب المحبة لبني هاشم ثم لقريش ثم للعرب، فروى الترمذي من حديث أبي عوانة عن يزيد بن أبي زياد أيضا عن عبد الله بن الحارث حدثني المطلب بن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا وأنا عنده فقال "ما أغضبك؟ فقال يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟ قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرّ وجهه، ثم قال "والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله" ثم قال "أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه"، ورواه أحمد والترمذي(٣).

المطلب الثالث: أدلة الشعوبية والرد عليهم

بالنظر إلى أدلة الشعوبية، فإنها تدور بالحقيقة حول الخطأ في فهم الأدلة الشرعية، وإنما كان هذا لأنهم ليسوا من أهل الفقه والفهم والاستنباط، ولا لهم دربة بالعربية وطرقها في التعبير والبيان، وقد دارت أدلتهم على أمرين:

الأمر الأول: قالوا: " إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية، وإلى أن الناس كلهم من طينة واحدة، وسلالة رجل واحد، واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام "المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم"(٤)، وقوله في حجة الوداع، وهي خطبته التي ودع فيها أمته وختم بها نبوته " أيها

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) منهاج السنة النبوية ٤/ ٣٦٣.

(٣) سنن الترمذي رقم ٣٧٥٨.

(٤) مسند أحمد رقم ٩٥٩ وسنن أبي داود رقم ٤٥١٩.

الناس، إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء، كلكم لآدم وآدم مـن تراب، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى"[1]، وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقول الله تعالى:{ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }[2]، فـأبيتم إلا فخرا، وقلتم لا تساوينا العجم، وإن تقدمتنا إلى الإسلام" [3].

الأمر الثاني: استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: " لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء [4].

وقد رد عليهم أهل السنة في الأمرين بالآتي:

أما الأمر الأول: وهو مطلب العدل والتسوية، فهو من الأصول التي ينبنـي عليها تصور العلاقات بين المسلمين، وكيفية التعامل بينهم، وإنما الإشكال أنهم سووا بين المنظور الأخروي في زنة الناس، والمنظور الدنيوي، فإن كل الآيات والأحاديث التي تنادي بعدم الفرق بين المؤمنين بعضهم بعضا، إنما هـي فـي أصل التعامل، وميزان المعاملة، فالكل أمام الله تعالى سواء في الثواب والعقاب وما حكم به من أمور الشرع على المسلمين، لا يتخلف أحد عن ذلك .

أما في المنظور الدنيوي فهو لا شك يتخلف، وهو أمر ليس خاصـا بأمـة الإسلام ولا العرب، بل هو أمر معروف مقرر في بني آدم، فليس الكل علـى نسق، فقد يكون البعض أعرق في النسب من آخر، فهو من هذه الجهـة عنـده أفضلية، وقد يكون البعض أعرق في المال من آخر، فهو من هنا عنده أفضلية، وهذا مصداق قول الله تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْـضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَـرِيعُ الْعِقَـابِ وَإِنَّـهُ لَغَفُـورٌ

(١) رواه أبو داوود في سننه رقم ٤٥١٧٩، وسنن الترمذي رقم ٣٩٥٥.

(٢) سورة الحجرات، آية رقم ١٣.

(٣) العقد الفريد١ /٤١٤.

(٤) صحيح البخاري ٤٩٢/٨،رقم ٤٨٩٧ ، صحيح مسلم رقم ٢٥٤٦.

رَحِيمٌ(١)، وقال سبحانه: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}(٢)، فتلك أمور أخرى لا علاقة بقضية المساواة وأن الكل على نسق واحد أمام الله تعالى .

وأما الأمر الثاني: وهو استدلالهم بقوله صلى الله عليه وسلم: " لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء (٣)، فهذا ليس بشيء، فإنما يثبت الفضل لا الأفضلية، وهذا لا شيء به، ولا خلاف، وقد قدر الله تعالى أن يكون أبناء فارس أكثر الناس من أهل العلم، والبخاري فارسي، فكأنه بشرى النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون لهم فضل في طلب العلم ونحو ذلك، والله أعلم .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١١٢ .

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٣٢ .

(٣) صحيح البخاري ٤٩٢/٨،رقم ٤٨٩٧ ، صحيح مسلم رقم ٢٥٤٦.

الخاتمة

تعد قضية الشعوبية من القضايا القديمة المتجددة، وذلك لما لها من وثيق الصلة بالاتجاهات الوطنية والقومية الحديثة وفي ختام هذا البحث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يُجملها في الآتي:

أهم النتائج:

١- مفهوم الشعوبية الذي ينادي بالتسوية والمساواة والعدل بين الناس وعدم التمييز بلون أو جنس أو عرق لا يتعارض مع مقاصد الإسلام وجوهره.

٢- مفهوم الشعوبية الذي يعبر عن اتجاه يتمثل في مجموعة آراء وأشخاص ومواقف تحط من العرب وتعمل على ذمهم وإزالة سلطانهم وتفضيل غيرهم عليهم يتعارض مع مقاصد الإسلام.

٣- قضية الشعوبية لها امتداد -في عصرنا الحاضر- عبر استمرار نغمة الطعن في العرب كجنس، وتشويه تاريخهم، والاستخفاف بقيمهم.

٤- يوجد تيار غير محايد في الكتابة عن الشعوبية يكاد يسيطر على تناول قضية الشعوبية وإصدار الأحكام العامة بدون برهنة واضحة.. بل إن الآراء المنسوبة للشعوبية نقلت من كتب ناقشت تلك الآراء ولم تنقل من كتبهم مما يجعل الجزم بهذه الآراء وصحة نسبتها أو تحريفها غير دقيق.

٥- أكثر من كتب عن الشعوبية من المعاصرين كتب بنَفَسِ دعاة القومية العربية ولذلك جاءت أحكامهم وأفكارهم جائرة بحق الشعوبية دون تمييز بين أقسامها ومحتوى أفكارها.

٦- التيار -من الشعوبية- القائل بالمساواة وطلب التسوية بين البشر هو الذي جاء به الإسلام ودلت عليه نصوصه، ولا يعدو الأمر أن يكون منافسة وتصفيات سياسية وتخلص من الخصوم وليست عقائدية.

٧- ليس هناك جنس أفضل من جنس ولكل أمة خصائص وصفات خلقية رفيعة ومن دخل في الإسلام من سائر الأمم والشعوب والأجناس فأفضلهم عند الله أتقاهم.

٨- الشعوبية كانت دعوة إصلاحية اجتماعية تعرف بأهل التسوية ولم تتحول عن مسارها إلا حين انضم إليها أو اخترقها ذوو الاتجاهات والأفكار المنحرفة.

٩- هناك خلط بين العرب والعروبة وبين الإسلام من خلال توظيف وتفسير النصوص وتصوير المواقف والوقائع والأحداث.

التوصيات يوصي الباحث:

١- بمزيد من البحث والتدقيق، ومحاولة الغوص في أدبيات قديمة مع الاستعانة بعلم الأخبار وما يتصل به من مباحث الثبوت والضعف وعلم الفرق والعقائد، ثم المقارنة بين الفرق الحديثة والتي تمت بوشيجة إلى الشعوبية.

٢- بتناول ظاهرة الشعوبية من الجوانب النفسية والاقتصادية والسياسية والفكرية.

٣- بتناول ظاهرة الشعوبية في الشعوب والأمم الأخرى قديما وحديثا.

٤- بتناول ظاهرة الشعوبية بموضوعية وترك القناعات والأحكام المسبقة وعدم الخوض في التفضيل بالهوى والعصبية وتنابز الألقاب المؤدي للفرقة، وانفصام حقوق الأخوة، والاعتصام بحبل الله جميعا.

قائمة المصادر والمراجع

١- أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، د. علـي عبـد الـرحمن العمرو، نشر مطابع الجدوي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٢- "انعكاس الفكر السياسي على الأدب العربي في العصر العباسي، د. عبـد الرزاق أيوب، نشر دار طلاس للدراسات والترجمـة والنـشر، دمـشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٣- أساس البلاغة: محمود جار الله الزمخشري، نـشر دار الهيئـة المـصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٥م.

٤- اقتضاء الصراط المستقيم: شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط سنة ١٣٦٩ السنة المحمدية، مصر.

٥- الأوائل: لأبي هلال العسكري، نشر دار الكتب العلمية، بيـروت، لبنـان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٦- البيان والتبيين: عمرو الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، ط١ سـنة ١٩٦٨م، دار صعب، بيروت.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق د. نواف الجراح، نشر دار صادر، بيروت.

٨- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، نشر دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

١٠- الجذور التاريخية للشعوبية، د. عبد العزيز الدوري، نـشر دار الطليعـة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.

١١- حركات فارسية مدمرة ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور، د. أحمـد شلبي، نشر مكتبة النهضة، القاهرة، مصر.

١٢- الحركات الهدامة في الإسلام، الراوندية، البابكية، د. قحطان عبد الرحمن الدوري، نشر دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

١٣- الحيوان: عمرو الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، نشر دار الجيل، بيروت. الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م.

١٤- رسائل البلغاء، محمد كرد علي، نشر دار الكتب العربية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٩١٣م.

١٥- رسائل الجاحظ، عمر بن بحر البصري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

١٦- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤط، نشر دار الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر، ١٩٨٧م.

١٧- الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما، سميرة مختار الليثي، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٦٨م.

١٨- الزندقة والشعوبيّة في العصر العباسي الأوّل " حسين عطوان.

١٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصرالدين الألباني، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٢٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢١- الشعوبية الجديدة، محمد مصطفى رمضان.

٢٢- الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، د. عبد الله سلوم السامرائي.

٢٣- الشعوبية في الأدب العربي الحديث، أنور الجندي، نشر دار الاعتصام.

٢٤- الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية، صباح الموسوي.

٢٥- الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية فـي العـصر العباسي الأول، د. زاهية قدورة، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، دمشق، سوريا.
٢٦- الشعوبيّة ودورها التخريبي في الفكر العربيّ الإسلاميّ منظّمة المـؤتمر الإسلامي الشعبي في بغداد "في الشعوبيّة" إسماعيل العرفي.
٢٧- الشيعة الشعوبية والاثنا عشرية، د. محمد إبراهيم الفيومي، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٢٨- طبقات الحنابلة: ابن أبي يعلى الحنبلي، تحقيق محمد حامـد الفقـي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.
٢٩- العرب والفرس قراءة جديدة لدور القوميتين في سقوط الدولـة الأمويـة وإحداث العصر العباسي الأول، أ.د عبد المنعم عبد الحميد سلطان، نـشر المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠١٠م.
٣٠- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣١- العلاقات بين العرب والفـرس فـي العـصر العباسـي الأول ١٣٢ – ٢٣٢هـ، هيلة بنت محمد بن علي القـصيّر، نـشر مرامـر للطباعـة الإلكترونية، ١٩٩٠م.
٣٢- فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيـق محـب الـدين الخطيب، ترقيم عبد الباقي ط١ سنة ١٤١٠هـ نشر دار الكتب العلميـة، بيروت.
٣٣- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ٢٠٠٣.
٣٤- فلاسفة الحكم والإدارة في العصر الإسلامي الوسيط، د. نجاح محسن نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣٥- القاموس المحيط، مجد الدين الفيرز آبادي، تحقيق أنس محمـد الـشامي وزكريا جابر أحمد، نشر دار الحديث، القاهرة، مصر، سنة ٢٠٠٨م.

٣٦- قيام الدولة العباسية وتفسير جديد لدوافع الفرس إلى مؤازرتها، د. محمد عبد الفتاح عليان، نشر دار الهداية للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٣٧- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر دار الحديث ــ مصر. ٢٠١٣م.

٣٨- محيط المحيط، المعلم بطرس البستاني، نشر مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.

٣٩- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق د. عبد الله بن عبدالمحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

٤٠- مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب، مرعي الحنبلي، تحقيق علي حسن عبد الحميد، نشر دار عمان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٤١- المسند: أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، ط١ سنة ١٣٧٧هـ، دار المعارف، القاهرة.

٤٢- مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. محمد نبيه حجاب، نشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٤٣- منهاج السنة النبوية: أحمد بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة. الطبعة الأولى.

٤٤- رسائل ماجستير:

٤٥- بلاغة الحجاج في النثر العربي العباسي (قضية الشعوبية)، يوسف محمد عبد الله عبده، ٢٠١٦.

٤٦- المواقع الإلكترونية:

٤٧- شبكة جيرون الإعلامية: https://geiroon.net/archives/٧٢٥٧٧

* * *